

تفسير ابن كثير

وَبَرُّوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا
مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ^ج قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ^ط سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ
مَحِيصٍ

يقول : (وبرزوا [الله]) أي : برزت الخلائق كلها ، برها وفاجرها الله وحده الواحد
القهار ، أي : اجتمعوا له في براز من الأرض ، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر
أحدا . (فقال الضعفاء) وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم الذين استكبروا عن عبادة
الله وحده لا شريك له ، وعن موافقة الرسل ، فقالوا لهم : (إنا كنا لكم تبعاً) أي :
مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا ، (فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) أي : فهل
تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله ، كما كنتم تعدوننا وتمنوننا ؟ فقالت القادة لهم : (لو
هدانا الله لهديناكم) ولكن حق علينا قول ربنا ، وسبق فينا وفيكم قدر الله ، وحققت
كلمة العذاب على الكافرين (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) أي : ليس
لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه . قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم :

إن أهل النار قال بعضهم لبعض : تعالوا ، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بيكائهم وتضرعهم إلى الله - عز وجل - تعالوا نبك وتتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا : تعالوا ، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر ، تعالوا حتى نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله ، فلم ينفعهم ذلك ، فعند ذلك قالوا (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) قلت : والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها ، كما قال تعالى : (وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد) [غافر : 47 ، 48] وقال تعالى : (قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أوراهاهم لأولاهاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أوراهاهم لأوراهاهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) [الأعراف : 38 ، 39] ، وقال تعالى : (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولنا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب

والعنهم لعنا كبيرا) [الأحزاب : 66 - 68] .وأما تخاصمهم في المحشر ، فقال تعالى : (

ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين

استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن

صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين

استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة

لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون)

[سبأ : 31 - 33] .